مجلة إشكالات في اللغة والأدب — مجلد: 11عدد: 3 السنة:2022
ص: 478 - 494 — E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

الصورة التعليمية وبناء المعاني التعليمية في مقررات كتب العلوم الطبيعية، التاريخ والجغرافيا في السنة الثانية متوسط بالجزائر

Educational Picture and Meaning Making In theAlgerian Textbooks of Natural Sciences andHistory and Geography:The Case of Second Year Middle School

ط.دحريزي لحسن [1] / د. صابري أبو بكر الصديق [2]*

HERIZI Lahcene[1] / SABRI Boubakeurseddik[2]

مخبر معجم المصطلحات اللغوية والبلاغية . سطيف 2 / الجزائر

جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج / الجزائر

University of Bordj Bou Arreridj Mohammed el Bachir el Ibrahimy-Algeria

lahcene.herizi@univ-bba.dz[1] / boubakeurseddik.sabri@univ-bba.dz[2]

تاريخ الإرسال: 2022/02/27	تاريخ القبول: 2022/06/05	تاريخ النشر: 2022/09/02

ملخص البحث

احتلّت الصورة مكانة متميزة في التواصل، ولا سيما في عصرنا الذي يتميّز بسرعة انتقال المعلومة؛ بحكم التطور الذي يشهده العالم في وسائل الاتصال والتواصل. وتطفو الصورة التعليمية وسيلة تعليمية وظيفية عليها يتأسس بلوغ المعرفة المستهدفة في أي مادة مقرّرة في مستويات تربوية مختلفة من خلال الكتب المدرسية، كما هو الشأن في كتب السنة الثانية متوسط بالمدرسة الجزائرية، باعتبارها تسهم في توضيح المعارف وترسيخها، ولا سيّما أنّ المتعلم شديد الانتباه إلى الأشكال والألوان، ومتعلق أكثر بالمحسوس مقارنة بالمجرد، وبحضورها في الكتاب المدرسي إلى جانب المعرفة العلمية التي تنقلها تجرّ معها معانٍ تربوية، لا يقوى النص التعليمي على تحقيقها بالدرجة نفسها إذا وُظِّف دون صورة، ولذا تكامل الصورة والنص التعليمي إجراء وظيفي يبني المعاني التربوية ويقويها.

الكلمات المفتاحية: صورة تعليمية، نص تعليمي،معان تربوية، متعلم،تواصل.

Abstract :

The picture has recently become an important communicative and informative tool. This is due to the latest developments in the field of information

* حريزي لحسن: lahcene.herizi@univ-bba.dz

and communications technology. In education, textbook pictures play an important role in the achievement of objectives in different subjects and levels. Second year Algerian middle school textbooks tend to be very illustrative especially for learners who are attentive to shapes and colours. This is also true for learners who learn more through the concrete than the abstract. Thus, the use of educational pictures in textbooks enhances meaning making that the educational text might be unable to achieve alone. As such, the education picture is complementary to the text in meaning making and strengthening.

Keywords: educational pictures; educational text; meaning making; learner; communication.

مقدمة:

لم تعد الأساليب التقليدية في التعليم صالحة في ظل الظروف الحالية باعتبارها تركز على دور المعلم في الموقف التعليمي وتجعل من دور المتعلم سلبيا يقتصر فقط على استقبال المعلومات واسترجاعها، ولا سيما ونحن في عصر يتسم بالتطور العلمي والتكنولوجي الهائل في شتى المجالات، تطور مس حتى وسائل الحصول على المعارف، لذلك اتجهت التربية الحديثة إلى أساليب واستراتيجيات التعلم التي تؤكد على دور المتعلم في الموقف التعليمي، وتعتبره محور العملية التعليمية، وتعتبر الصورة إحدى الآليات المفعّلة لتلك الأساليب إذ ينبغي على القائم على التعليم أو التدريس أن يستخدم الصور من أجل الوصول إلى الهدف المنشود من العملية التعليمية.

وتعتبر الصور من الوحدات التصميمية المؤثرة في المتلقي بصورة عامة والطفل بصورة خاصة، إذ إنها من المؤثرات المهمة المستخدمة لإيصال الرسائل لما لها من تأثير وقوة تعبيرية، وهي لغة عالمية يفهمها جميع الناس بسهولة وتؤدي دورا مهما في نقل فكرة الموضوع إلى المتلقي بصورة سريعة وفعالة ومثيرة في الوقت نفسه، وعليه فللصورة دور مهم في بناء فكرة الموضوع وإيصال الرسالة المرغوبة، وفي العملية التعليمية هي وسيلة مؤثرة في نجاحها إذا تقاطعت مع العناصر الأخرى، فتكون حينها وحدة متكاملة تحمل شكلا جماليا يثير المتعلم وتجعله منتبها لعملية التعلم، لكن العملية الإدراكية متباينة عند المتعلمين، الأمر الذي يؤثر فيما بعد على عملية التحصيل العلمي، ومن هنا كان لابد من البحث في الصورة التعليمية وعوامل الارتقاء بها لتكون وظيفية، فجاءت الورقة البحثية هذه لتجيب على الإشكالية التالية:

- فيم تتمثل المعاني التربوية في المقررات التعليمية ؟ وكيف ارتقت الصورة التعليمية لتكون وظيفية في بناء المعاني التربوية في مقرّرات كتب السنة الثانية متوسط بالجزائر؟

وللإجابة على هذه الإشكالية بنينا عملنا على التأسيس النظري لما يتعلق بالصورة عامة، والصورة التعليمية ومستويات قراءتها خاصة، وعوامل الارتقاء بها لتكون وظيفية، وبعدها أخذنا عينات من الكتب المدرسية لمواد مختلفة مقرّرة في السنة الثانية متوسط (العلوم الطبيعية، التاريخ والجغرافيا)، بالمدرسة الجزائرية، كان حضور الصورة التعليمية فيها واضحا ومؤثرا في بناء التعلمات.

تعريف الصورة:

–لغة: الصورة في اللغة مأخوذة من مادة (ص. و. ر) وكلمة صورة تعني هيئة الفعل أو الأمر وصفته[1]، ومن معانيها ما جاء في لسان العرب "الصورة هي الشكل والجمع صُوَرٌ وصَوَرٌ"[2].

–اصطلاحا:عرفها صلاح فضل بأنها "علامة دالة تعتمد على منظومة ثلاثية من العلاقات بين الأطراف التالية مادة التعبير وهي الألوان والمسافات، وأشكال التعبير وهي التكوينات التصويرية للأشياء والأشخاص، ومضمون التعبير وهو يشمل المحتوى الثقافي للصورة من ناحية وأبنيتها الدلالية المشكلة لهذا المضمون من ناحية أخرى"[3] فالصورة عبارة عن رموز (أشكال وألوان) تشكل بنية دلالية لهذه الصورة، حيث تعتبر أبسط وسيلة للتوضيح والتفسير والتأثير أكثر مما تفعله الكلمة، ففي عرف المختصين صورة واحدة تغنينا عن ألف كلمة، وليس هذا فحسب، فقد نلجأ إلى الصورة للحصول على تأثير واسع من خلال مراعاة التقنيات المستخدمة لأجل تحقيق الهدف،[4]والذي قد يتنوع ويختلف من موقف لآخر بحسب المجالات التي وضعت بشأنها.

الصورة التعليمية:

تسمى الصورة المسطحة وتمثل جميع الصور الفوتوغرافية وصور المجلات والصحف والكتب، ويمكن تعريفها على أنها تمثيل مسطح لواقع مجسم أو هي صورة على بعدي الطول والعرض، تحاول ترجمته خمسة محاور في الأصل هي "الطول، العرض، العمق، التأثيرات البيئية والحركة خلال الزمن" فالصورة إذاً تحاول نقل ما تراه العين في الواقع[5]، وهي وسيلة يلجأ إليها المعلم بغية تقريب المفاهيم المجردة إلى ذهن المتعلم وذلك، حتى يضمن فهمه واستيعابه لتلك المعطيات، ومن ثم تفاعله معها والاستجابة لها ومن أمثلتها صور الخرائط، صور النباتات...[6].؛ بمعنى الصورة التعليمية وما يرد فيها من تصوير للأماكن والأشخاص وحتى الأحداث تكون بحسب المادة التعليمية المقررة والنشاط التعليمي المستهدف.

مما لا شك فيه أن للصورة أهمية في الفعل التربوي عموما باعتبارها تجذب انتباه المتعلم وتثير اهتمامه، وتوفر عامل التشويق، وهذه الخصائص من أهم العوامل التي تؤدي إلى التعلم الهادف. ونعني بالصورة التعليمية تلك الصورة التي توظف في مجال التربية والتعليم، وتتعلق بمكونات تدريسية هادفة كأن تشخص هذه الصورة واقع التربية؛ أي إنّ الصورة التعليمية هي التي تحمل في طياتها قيما بناءة وسامية تخدم المتعلم في مؤسسته التربوية والتعلّميّة بشكل من الأشكال[7]، كما تعرف بأنها الصورة التي تستخدم للتعبير عن مضمون حالة معينة بغرض إيصال المعلومات إلي الطلبة في أقل وقت وجهد ممكنين[8]، وهنا لابد من الإشارة إلى أن الصورة قد تستغل على هيئتين ثابتة ومتحركة.

1-الصور الثابتة:

وهي صورة ساكنة تشمل الصور الفوتوغرافية والرسوم المبسطة المعبّرة، والرسوم التخطيطية كالخرائط والرسوم البيانية والكاريكاتيرية، وكلها ذات قيمة في مواقع مختلفة من التدريس، وتبرز قيمتها في كون الصورة التعليمية في بعض المواقف أبلغ تعبير عما تُشير إليه مضامين النصوص التعليمية ولا سيما في المراحل الأولى من التعليم فتأتي بسيطة في الغالب، ما يجعلها سهلة بالنسبة للمتعلم ومعينا للمعلم في الشرح،وباعتبارها صورا بسيطة تحمل دلالات حسيّة تناسب طبيعة الأطفال في مراحل التدريس المختلفة، هذا من جهة ومن جهة أخرى تربط الصورة التعليمية موضوع الدرس بالواقع الحسي والخرائط والرسوم البيانية، وتوضح العلاقة بين الأشياء والمعاني، وهذا ما نجده في مقررات مادة الجغرافيا والعلوم الطبيعية مثلا، وإذا كانت الصور التعليمية ذات بعد كاريكاتيري فقد توفر جوا من الطرافة والبهجة يجذب المتعلم ويضفي على الفعل التربوي المرح والبهجة ويسهم في نقل المعاني التربوية التي تكتنزُها الصورة بيسر يُفعّل بها التواصل التربوي الناجح ويحقق التأقلم مع وضعيات تعليمية، قد لا يحققه النص التعليمي منفردا مبتورا من الصورة التعليمية.

2- الصور المتحركة:

يكون هذا النوع من الصور حاضرا بجانب صور السينما والتلفزيون والتسجيل والفيديو وآلات العرض، ويمكن الاختيار من هذه الأدوات ما يناسب الهدف من استخدامها لتكون وسيلة تعليمية بامتياز، فيمكن أن يكون الهدف منها تتبع ظاهرة معينة أو التحدث عن موقف معين أو التركيز على أصوات للصور المحددة، فهي تعد مصدرا للمعارف وتنمية اللغة لدى المتعلم، وتبرز فاعلية الفيلم السينمائي على سبيل المثال في تثبيت المعلومات واختصار الوقت وزيادة فاعلية العملية التعليمية بإقحام

المتعلم في مواقف ووضعيات تعلميّة مقصودة لجعله يعيش الأحداث بتفاصيلها، وهذا ما سيكسبه تجربة حيّة يقيّم فيها تجاربه ويعدّل من سلوكه التعليمي نحو الأحسن، ويرفع من مستوى تحصيله المعرفي، ويمكن أن تساعده حتى في تحديد ميولاته التي يرغب فيها[9]، وكثيرا ما يوظف مثل هذا النوع من الصور في تعليمية اللغات ولا سيّما الأجنبية منها.

وفي تناول المدونة التطبيقية تبيّن لنا أنّ كل المواد في المقررات لم تخلُ من الصور؛ فكثيرا ما رافقت الصورة النص السّند في الدرس المقرر في المواد المختلفة، وهذا ما يملي على المتعلم والمعلم معا تفعيل دورها في تناول الدروس، ولا يتسنى لهما ذلك إلا إذا أحسنا قراءة الصورة قراءة فعلية هادفة؛ فلقراءة الصورة مهارة لا تقل عن مهارة قراءة النص السند.

ثانيا– مهارة قراءة الصورة:

إذا كانت قراءة الصورة تعني محاولة التعرف على محتوياتها الأساسية والثانوية، والتعرف على العلاقة التي تربط بين هذه العناصر بمستوياتها المختلفة وما يمكن استنتاجه من أبعاد لهذه الصورة[10]، فهذا يقودنا إلى كون المتعلم يجب أن يكون على دراية بكيفية قراءة الصورة، فإذا كانت الكلمة تقرأ من خلال معرفة الحروف والأصوات والربط بينهما وبين معانيها الموجودة في الذهن، فإن قراءة الصورة فيه تشابه في ذلك، إذ لابد من معرفة طبيعة الصورة ومكوناتها ثم تأويلها ومعرفة معانيها. لذلك فإنه لابد من تعليم المتعلم كيفية قراءة الصورة وإدراك معانيها ودلالتها، فالطفل اليوم محاط بطوفان من هذه الرسائل المرئية في التلفزيون والصور والرسومات في الكتب والمجلات وغيرها[11]، وحديثا حتى في الهواتف النقالة التي لا تبرح يديه، وواجهات المحلات، ومدخل المؤسسات، وعلى جانبي الطرق، وعلى لباسه وأدواته المدرسية، وهذا ما يستوجب إكساب المتعلم مهارة قراءتها. وهي لا شك تتحقق بمرحلية ومستويات متنامية ما يميزها أنها بنائية، يمكن توضيحها في ما يلي:

–المستوى الأول: مستوى التعرف وفيه يتعرف المتعلم على محتويات الصورة ويذكر أسماء كل هذه المحتويات، ونقصد به التعرف على الشيء بالإشارة إلى الصورة وتسميته فيقول هذه كرة[12]، وكثيرا ما يهتدي إلى ذلك من النظرة الأولى التي تكون فارقة في تعيين الشيء وتحديده وتمييزه عن غيره.

–المستوى الثاني: مستوى الوصف، حيث يمكن للمتعلم في هذه المرحلة أن يصف ما يراه في الصورة من خلال التوقف عند بعض التفاصيل[13]، وهنا يستخدم الطفل جملا بسيطة في وصفه، فيقول مثلا هذه

كرة حمراء[14]، ونرى في ذلك إمعانا في استخدام العقل لسبر دقائق الأشياء، لا يمكن أن تثبت نتائجها كمرحلة إلا عندما تتحقق نتائج المستوى الأول.

–المستوى الثالث: المستوى التفسيري في هذه المرحلة يصل الطفل إلى مرحلة الخبرة بالصورة فيدرك أن الرسم الخطي غير ملون، ويعرف أن الطائرة التي في يده هي نموذج لطائرة من واقعه[15]، ونرى في ذلك ارتقاء في توظيف العقل لإنشاء علاقة بين المتشابهات للاهتداء إلى الفوارق بينها.

هذه المرحلة في تلقي الصورة تلقيا بصريا ثمّ بصيريا يمنح المتعلم إمكانية دراسة تفاصيل الصورة وتفسير مثيراتها واستنتاج الحقائق الواقعية أو المعبرة عن الأحداث الماضية والحاضرة والمستقبلية، كما أنه يمكنهمن أن يجد العلاقة القائمة بين عناصر الصورة فيربطها في مفهوم واحد فيقول مثلا عند مشاهدته "صورة أشجار هذه حديقة أو عند رؤية صورة أب وأم وولد فيقول هذه أسرة"[16]؛ بمعنى لا يقف عند دلالات الصورة المباشرة، بل يجتهد للاهتداء إلى تحليل وتفسير الشحنة الإعلامية التي تنقلها الصورة بأجزائها وذلك بعقد علاقة وظيفية بين العناصر الجزئية للصورة لتتكامل معاني عناصرها الفرعية بمعاني عناصرها الرئيسة ويربطها بواقعه وما توحي إليه، فتثبّت في ذهن المتعلم معنى مستهدَفا يخدم العملية التعليمية المنشودة.

إن قراءة الصورة بشكل دقيق مرهون بهذه المستويات الثلاثة، لذلك وجب أن يدرب المتعلم على هذه المستويات الثلاثة، ويتعلم كيف يوضح العلاقات بين مكونات الصورة، وكيف يصدر أحكامه عليها وأيضا كيف يفرق بين الموضوعات الرئيسة في الصورة والموضوعات الفرعية[17]، وقد يساعده في ذلك النص التعليمي الذي يوظف في توأمة مع الصورة التعليمية في الغالب وهذا ما تجسّده الكتب المدرسية المقررة.

ثالثا– دور الصورة في بناء التعلمات:

إن استعمال الصورة بوصفها وسيطا في العملية التعليمية لا تمليها الحاجة فحسب، بل لأن العصر الذي نعيشه هو عصرها دون منازع، إذ يمكن الاستفادة منها في التخطيط للمهارة المقصودة وفي تحقيق الكفايات المطلوبة وتنفيذها وتقويمها، وتحديد مدى استيعاب المتعلمين لها، وتكتسي الصورة أهمية بيداغوجية كبرى لكونها تمثل لغة عالمية تتحدى اختلاف اللغات وتضفي طابع الواقعية على الدرس، وتدفع المتعلمين إلى تركيز الملاحظة، هذا ما يسمح لهم بإنجاز مهارات عقلية كالتحليل والتركيب والتفكيك والتقويم[18]، وهذا لا يتحقق دون إمعان الملاحظة وربط مدلولات الصورة بمعاني النص السند والمعرفة المستهدفة.

رابعا– معايير اختيار الصورة وتصميمها:

تعد الصور وسيطا مهما في عملية التعليم والتعلم، لكن ليس كل صورة صالحة لتكون تعليمية وليس كل صورة تعليمية صالحة لتكون في أي مستوى تعليمي معين، أو أي درس مقرر، وفي هذا الصدد يقول عبد اللطيف لحشيشة: " إن الصورة يجب أن تحمل رسالة تتجرم النص المرافق لها، ومن الأحسن أن تكون بسيطة سهلة الإدراك ولا تثير في نفس المتعلم تساؤلات تصعب الإجابة عليها"[19]؛ بمعنى أن الصورة التعليمية وحتى تكون كذلك يجب أن تحمل رسالة تتقاطع فيها مع مضمون النص السند، فهذا الانسجام في الرسالة المستهدف تركُها في ذهن المتعلم يقوي التحصيل المعرفي ويدعمه، ولا شك أنّ لبساطة الصورة وسهولة قراءة ما تتضمنه من معانٍ دور في تحقيق ذلك، وليس هذا فحسب فعيوب النص السند، لا يجب أن نجد لها أثرا في الصورة التعليمية، لذلك يجب أن تكون دقيقة لافتة للانتباه حاملة للمعلومات الرئيسة مراعية لقدرات المتعلم ومتناسبة وملكاته اللغوية والنفسية والفكرية، وهذا ما يفتح لنا المجال للإشارة إلى ما يمكن أن تنقله الصورة التعليمية من مضامين تجسّد القيم والأبعاد الثقافية؛ فكلما كانت من الواقع المعيش للمتعلم ومزايا مجتمعه كلما كانت يسيرة التلقي والفهم والاستيعاب، ولا سيّما ترسيخها وسهولة استدعاء معانيها التربوية ولو بعد حين من الزمن. ولما كانت وظيفة الصورة من وظيفة النص السند أو المحتوى المقرّر فهذا يملي ما يمكن أن تكون عليه الصورة من تعالقٍ مع مضامين النص؛ فكلما كان الانسجام قائما بين هذا الأخير والصورة التعليمية كلما تقوى التحصيل المعرفي وتزايد في تناغم مع ما يقدمه النص والصورة معا. وفي ذلك إشارة إلى اختيار نوع الصور الأكثر فعالية في الموقف التعليمي التعلّمي من غيره؛ فمثلا نجد العديد من المواقف تحتاج إلى الصور المتحركة لتمثيلها أحسن تمثيل ولا سيما المجسّدة لأفعال الكلام لكي يتفاعل معها المتعلم وينجذب نحوها، ومن ذلك كذلك بساطة الصورة المرسومة باليد أوضح دلالة عن تلك المأخوذة فوتوغرافيا، لأنّ هذه الأخيرة تكون تفاصيلها مركبة وهذا ما يجعلها معقدة في حين الصورة التعليمية يستحسن أن تكون دلالاتها سهلة الإدراك وفي متناول المتعلم المستهدف.

وبلوغا للأهداف المرجوة في العملية التعليمية دأبت لجان تأليف الكتب المدرسية على إرفاق بعض الصور والرسومات بالدروس المعتمدة، وهذا حرصا منها على أن تخدم هذه الصور الخطاب الذي ينبغي نقله إلى المتعلمين من باب أن الصورة تكون أكثر انفتاحا على المعاني التي يشير إليها النص، كما أنّ الكثير من المتعلمين يتعلمون بالبصر أكثر وأسرع من السماع.

والمتتبع لكتب المراحل التعليمية يجدها تحمل الكثير من الإيجابيات، حيث إنها تحوي صورا كثيرة ومتنوعة سواء من حيث الشكل أو اللون أو الحجم، وهي في عمومها جيدة، ونجد بعض الكتب قد بنيت ورتبت صورها على أساس التدرج في الصور من السهل إلى الصعب، وهذا حتى تكون فعالة في يد المعلم ومسهمة في بناء معارف المتعلمين والمعاني التربوية المقصودة من هذه الدروس، فنجد مثلا في كتاب علوم الطبيعة والحياة للسنة الثانية من التعليم المتوسط حضورا ملفتا للنظر للصورة روعي فيها التدرج، ففي الصفحة الثانية عشر(12) من الكتاب وردت أربع صور لأوساط حيوية مختلفة مع ما فيها من كائنات حية؛ نباتات وحيوانات واضحة الألوان والأشكال، يسهل التعرف عليها، والملاحظ أن المتعلم من خلال هذه الصور سيدرك أولا وبكل يسر التنوع البيئي واختلاف الأوساط الحية وأن لكل وسط كائناته التي تميّزه، ثم من بعد ذلك ككفاءة عرضية سيكتشف أن الجزائر تمتاز بالتنوع الجغرافي من غابات وبحار وصحار كل هذه المعاني وغيرها من خلال صور متقابلة الدلالة لكن متكاملة خادمة للمعرفة العلمية المستهدفة لدرس بعنوان: أميز بين أوساط حية مختلفة.

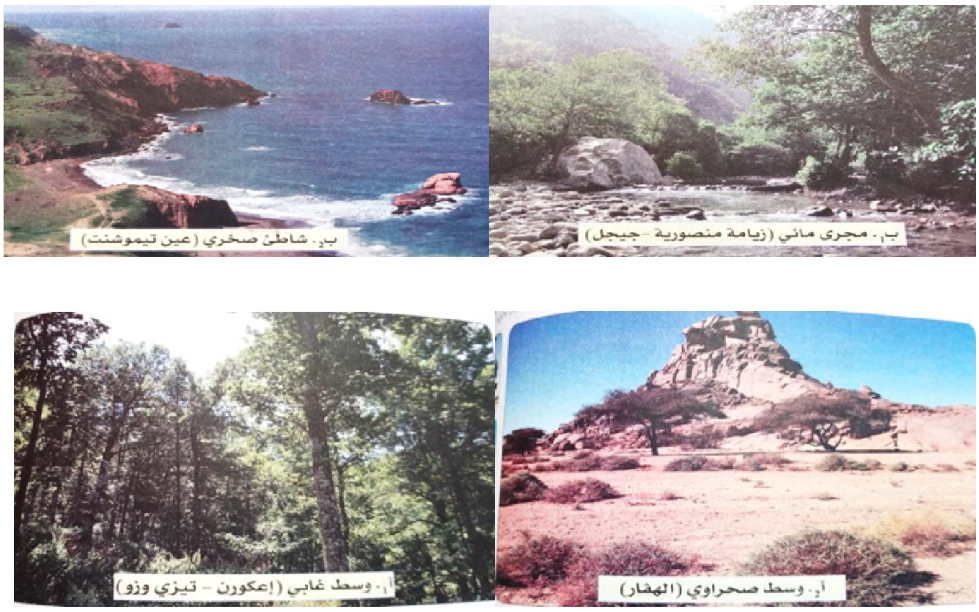

المصدر: كتاب علوم الطبيعة والحياة السنة الثانية من التعليم المتوسط، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 2019-2020، ص12.

وهنا يمكن إدراك القيمة الحقيقية للصورة في العملية التعليمية التعلمية؛ فالصورة تختصر الزمن والمسافات، وتمنح فرص الانتقال من تضاريس إلى أخرى، ومن دولة إلى أخرى وفي ذلك منحُ فرص لمتعلمي الجنوب التعرف على مدن الشمال وما يميزها من غابات ووديان وشواطئ، كما تمنح متعلمي الشمال فرصة التعرف عن كثب عن الصحراء ومميزاتها حيث الرمال والواحات والحيوانات التي تعيش فيها والأوساط الحية التي تأقلمت معها، فتنتقل هذه المعلومات إلى المتعلم ولو لم تكن مأخوذة من محيطه، في انتظار انتقاله هو إليها في الزيارات السياحية أو الاستكشافية. والكلام نفسه ينطبق على مزاياالمدن والأرياف في مختلف الجهات. وتتمكن الصورة التعليمية من حشد شحنة إعلامية كبيرة في ما يعني الحيوانات والأوساط التي تعيش فيها، وكيفية تكامل السلسلة الغذائية بين هذه الحيوانات لتحقيق التوازن البيئي في كل منطقة، لا يمكن للزيارة الميدانية الواحدة الوقوف على تفاصيلها، وهذا ما توضحه الصورة التعليمية التالية الواردة في الصفحة تسعة عشر(19) :

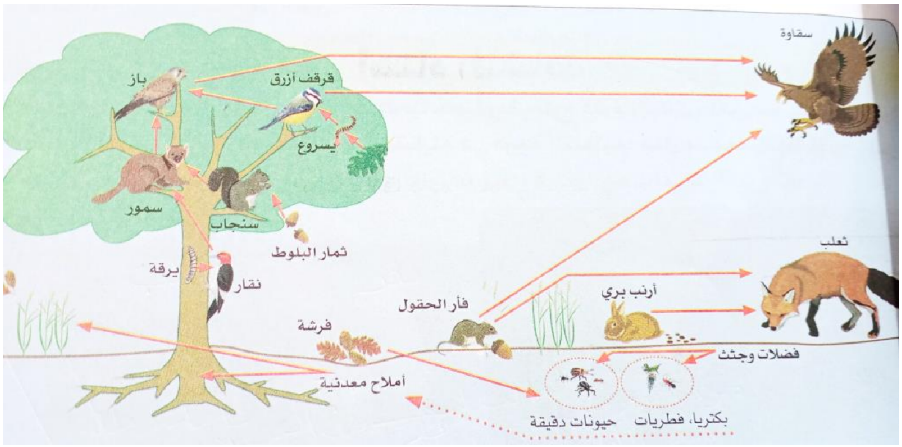

المصدر: كتاب علوم الطبيعة والحياة السنة الثانية من التعليم المتوسط، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 2019–2020، ص19 .

هذه الصورة لدرس بعنوان" أبين تنظيم العلاقة الغذائية في أوساط حية" تحيل المتعلم إلى حقائق عن الأوساط الحية التي يراها، لأنها شملت حيوانات ونباتات من أوساط مختلفة حينها سيفهم أن الغذاء (سواء للحيوان أو النبات) يوجد في وسطه الذي يعيش فيه أو خارجه وأن السلسلة الغذائية متنوعة تنوع الوسط البيئي وتنوع الحيوان والنبات.

ومنه فعرض الصور التعليمية التوضيحية يسهم مساهمة فعّالة في فهم الدروس واكتساب الكفاءات المرجوة، خاصة إذا اعتبرنا أن عرض الصور يُنتقل فيه من المجرد إلى المحسوس، فمادة مثل العلوم الطبيعية التي تتميز بالثراء المصطلحي والتنوع الحيوي لا يكفي فيها أن تعطي المتعلم دروسا نظرية، فقد تكون بعض الأسماء غير مفهومة عند المتعلم باعتبارها مصطلحات علمية خاصة، أو حتى أسماء حيوانات ونباتات لم يكن له سابق معرفة بها، فتعزيز الدروس بصور هادفة يجعلها مادة غير جافة فتصير الصورة جامعة بين الإيضاح والمتعة، ومساعدة المعلم على أداء مهمته التعليمية باعتبارها آلية وظيفية ناجعة بامتياز.

ودور الألوان في الصورة لا يقل أهمية ووظيفية عن استعمال الصورة في حد ذاتها، فلو درست مادة العلوم بصور غير ملونة فالأكيد أن التحصيل فيها لن يكون بمثل ما هو عليه بصور مرتبة وملونة واضحة المعالم، كما أن تطابق مدلولات الصورة بالنص التعليمي، أو بتفاصيل موضوعات الدرس المقرّر يخدم وبصورة كبيرة العملية التعليمية، فجمالية الصورة هي التي تدهش المتعلم وتجذبه إلى الفعل التربوي وتدفعه إلى البحث والتأويل ومن ثمة إلى الفهم والإدراك.

كما أن الصورة تستخدم في استحضار المتعلم للمعاني من خلال ما تدل عليه، وهذا ما يسهل عليه ترسيخ المعارف وسهولة استرجاعها عند الحاجة كالامتحانات مثلا، أو في وضعيات الإدماج، حيث نجد في نشاط الإدماج قد تم منح المتعلم صورتين الأولى لفيضان في اليابان والثانية لفيضانات في باب الواد، وطلب من المتعلم أن يكتب وضعية، ولا أسهل له من صورة تساعده في التعبير وتكون منطلقا له لأنّ استخدام التعبيرات المرئية في الصور والرسوم لا يقل أهمية عن التعبيرات المقروءة في الكلمات وفي تصميم الرسالة التعليمية[20]، وهو ما تم في كتاب الجغرافيا للسنة الثانية من التعليم المتوسط في الصفحة التاسعة والثلاثين (39) تظهران طريقة تعامل كل بلد مع هذه الحادثة الطبيعية؛ فبقراءة بسيطة يدرك المتعلم الاختلاف في التعامل مع هذه الظاهرة بين البلدين ما يدفعه إلى التساؤل عن سببه، والفارق في الإمكانات المتوفرة، وتباين التجربة في مثل هكذا مواقف بين بلد تشكل الفيضانات والأعاصير ميزة لبعض فصوله، وبين بلد لا يتعرض لمثل هذه الظروف إلا نادرا، وسيدرك أنّ الصورة بينت أن الفارق في الإمكانات وقلة التحضير لمثل هكذا كوارث قد عوض بالنشاط التضامني بين الساكنة دون إسقاط واجب التدخل السريع للهيئات المختصة، وفي ذلك تثمين لمعنى تربوي أصيل في المجتمع الجزائري، ومن ثم سيحاول إدماج ما توصل إليه من معارف في وضعيته حين يحتاجها.

المصدر: كتاب الجغرافيا السنة الثانية من التعليم المتوسط، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 2019–2020، ص39 .

كما أن الصورة تستطيع أن تحدد النشاط الذهني للمتلقي أثناء الدرس أو بعده[21]، فأثناء الدرس ترتقي الصورة التعليمية لتتأسس عامل استمالة لاهتمام المتعلم شكلا ولونا، لأنها تنتصب شريكا فاعلا في نقل المعرفة المستهدفة من جانبها التجريدي إلى جانبها المحسوس، حيث العين ساعي بريد معرفي ينقل بكل أمانة المعارف إلى الدماغ، فتستقر مكتسبات ثمينة يستذكرها المتعلم بعد الدرس بمجرد تنشيط مخياله في إعادة بعث تفاصيل الصورة المصاحبة للمعرفة العلمية، فباستذكار الصورة تجر معها المعارف السابقة جرا وبمرحلية متدرجة كما أخذت أول مرة.

فالصورة التعليمية تعمل على ربط المعارف المتتابعة في حياة الفرد وهي أكثر وسيلة تعليمية تساعده على الفهم والاستيعاب بالتدريب على المعرفة، وأوسع من ذلك هي أقوى ناقل لدلالات الجانب الثقافي والهوياتي وهذا ما أخذ بعين الاعتبار أثناء العملية التعليمية التعلمية، بل ويعد من مرتكزاتها، خاصة وأن المجتمع الجزائري غني بمكوناته الهوياتية التي تجمع بين العروبة والإسلام والأمازيغية، وحتى على مستوى اللهجات وهو ما ينبغي الاهتمام به وحمايته، وأفضل مؤسسة يمكن الاعتماد عليها في المحافظة على هذا الكيان هي المدرسة الأمر الذي جعل المنظومة التربوية تعمل على إدماج عناصر التراث الثقافي داخل منظومة التعليم، ليقدم للمتعلمين في شكل دروس ومعارف ومعلومات من خلال رسومات وصور في كتب المراحل التعليمية باختلافها.

والمتصفح لكتاب التاريخ في مرحلة المتوسط يجده قد اشتمل على الكثير من الصور التي رافقت النصوص فلا وجود لدرس تغيب فيه الصورة فضلا عن الصفحة الأولى من كل ميدان، وكل هذا من منطلق أن الطفل المتعلم يتأثر بشكل كبير مع ما هو مرئي، فالصورة تسهم في توصيل الفكرة وتوضيحها وجعل التلميذ أكثر فهما واستيعابا لما يحمله الدرس من معلومات وأفكار مهما انتهت إلى التجريد، ولا سيما الترشيد إلى القيم وترسيخ بعدها التربوي.

فالحديث عن تاريخ الجزائر بمكوناته المتعددة يقتضي حضور الصورة، وهو ما يعزز فهم الفكرة لدى المتعلم وإعطاءه ملمحا عن كل مكون؛ ذلك أن لكل فترة خصائصها ومميزاتها، والمتعلم يتأثر بكل ما هو محسوس أكثر من المجرد، فلا شك أن العصر النوميدي يختلف عن الفينيقي، والجزائر قبل الإسلام ليست كما بعده، والحديث عن المماليك والدول المتعاقبة على الجزائر يقتضي حضور الخرائط التي تعدّ وسيلة مهمة جدا في هذه الدروس، وهذا ما وجدناه في كتاب التاريخ للسنة الثانية متوسط، والكلام نفسه يملي أهميته في الحديث عن الأعلام ومنجزاتهم، والأماكن والأحداث التي جرت فيها؛ ففي الصفحة الخامسة عشر (15) صورة لشبه الجزيرة العربية تحدّد للمتعلم مواقع المدن المهمة قبل الإسلام، وفي ذلك مساعدة على إدراك الحجم المبذول في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، وفي الصفحة الأربعين (40) تبدأ الخرائط المتحدثة عن تاريخ الجزائر أثناء المغرب الوسيط، ومع كل خريطة يدرك مكانيا التغيّر الذي أحدثته الممالك المتعاقبة على الجزائر وحدود كل واحدة منها، كما يجد صورا لآثار الحضارات وملوك وزعماء تاريخيين مروا على هذه البلاد، ما يساعده على تشكيل صورة حقيقية عن تاريخ الجزائر والتنوع الذي عرفته.

وثيقة 1 شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام
المرجع د. حسين مؤنس/ أطلس تاريخ الإسلام/ ص 72

المصدر: كتاب التاريخ السنة الثانية من التعليم المتوسط، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 2019-2020، ص15، 40 .

ومنه فللصورة أثر كبير في إبراز التاريخ والثقافة، بل هي الأداة الأكثر فاعلية في نقلهما، لذلك لا يمكن بأي حال من الأحوال إهمال الصورة في العملية التعليمية بناء على عديد الأدوار والوظائف التي تؤديها؛ ولعل أولها بروزا من عديد الوظائف باختلافها هي الوظيفة الإفهامية، ويتضح ذلك بقوة من خلال الصور الموظفة في مادة العلوم الطبيعية والفيزيائية مثلا، فلا نجاح لفعل تربوي يُؤدَى دون صورة تعليمية تنقل المعرفة العلمية من المجرد إلى المحسوس؛ بنقل المقرّرات من المحسوسات إلى المجسّمات، وتجارب ميدانية، فإن قلت الإمكانات في تلك التجارب قد تكون الصورة التعليمية أحسن بديل موضح وشارح لنتائج تجارب علمية، وملاحظة نتائجها ملاحظة عينية، فتتقدم هذه الوظيفة الوظائف الأخرى وتؤسس لأخرى أكثر نماءً؛ وقد تكون وظيفة الترسيخ المرحلة التالية؛ ففاعلية الألوان والأشكال وفي بعض الأحيان حتى الحركة التي قد تميّز صورة تعليمية عن أخرى لا شك تترك أثرا اعتبارا للمعاني التربوية التي تنقلها، وهذا ما يسهم في ترسيخ المعارف، وبذلك فللصورة وظيفة ترسيخية؛ ترسيخ المعارف والمعاني التربوية بطريقة ودرجة قد لا يوفرهما النص السند، وبتحقق هاتين الوظيفيتين قد تمهدان لوظيفة الإبداع، وتظهر هذه الوظيفة عندما تقوم الصورة بإضافة دلالات للنص اللغوي؛ حيث يلجأ النص إلى الصورة لإظهار ما يعجز عن تبليغه[22]؛ بمعنى مدلولات النص ومعانيه التربوية تتقوى أكثر بحضور الصورة مع النص ليتآزرا في توجيه

المفاهيم وتغذية الفكر، فتمنح دافعية للمتعلم للتأويلات الذاتية، وفي ذلك وظيفة إبداعية قد لا يحققها النص إذا استعمل منفردا في العملية التعليمية.

لذلك من الصعب أن نجد اليوم نصا دون صورة لأنها تسلك سبيل التخيل وتقوم بترجمة الأفكار إلى معان يستمدها المتعلم من بيئته، لأنها تربطه بواقعه وتسهل عليه الاندماج والاقتناع بما يتناوله من أفكار جديدة، ولعل أكثر ما يميّز الصورة هي أنها تستحضر الغائب وتعيّنه وتحوّل ما هو مرئي إلى كيان محسوس في تلك اللحظة[23]، وهذه الأهمية لم تأت من فراغ؛ إذ إن أبرز تأثير للصورة كونها تدفع المتعلم إلى استنفار جميع حواسه وإشراكها لبناء تعلماته فتنقله إلى حالة من التركيز الشديد، وتدفعه إلى استدعاء المعارف القبلية وتفعيل مخيلته وإمعان التساؤل للاهتداء إلى الاستنباط الذاتي حول الموضوع، والتعبير عنه شفهيا أو كتابيا ينقل بوفاء درجة فهم المحتوى ويشكل في الوقت نفسه محاولة إبداعية ذاتية، كما أنها تنمي عنده القدرة على الملاحظة والتأمل والاجتهاد في عقد العلاقة بين المعارف سواء بين المواد المقررة باختلافها أو بين دروس المادة الواحدة، وهذا ما يمنح له محاولة حل جميع المشكلات بأنواعها؛ وبذلك فالصورة التعليمية تنظم المعارف وترتبها أثناء بناء محتويات المواد التعليمية في ذهن المتعلم ونقلها إليه، وهذا يسهم في الفهم السريع والسهل، ويتنامى الغموض ويسيطر على الفعل التربوي إذا جرّد درس من الدروس المقررة من الصورة التعليمية المناسبة له، وأبلغ مثال نسوقه دروس مادة الفلسفة — وإن كان مقررا في مستويات أعلى– فبالإضافة إلى التجريد الذي يتسم به محتواها، فإن غيبت فيه الصورة المعبرة والدالة من شأن ذلك مضاعفة الغموض على الدرس المقرّر.

ولعل من مميزات الصورة عموما توجيهها المتعلمين جميعهم إلى توظيف حاسة مشتركة تجمعهم؛ إذ إنها تجمع عيون الطلاب على منظر واحد وفي وقت واحد[24]، فتكون دافعة وفاتحة لباب النقاش الذي يعزز من أداءات التلاميذ في التعبير الشفهي، كما تكون مناسبة لتوضيح استعمال بعض التراكيب اللغوية وتصحيح أخرى، فالصورة تعمل على إبراز النقائص في بعض النشاطات التربوية ومعالجة الاختلالات الموجودة فيها، فهي تعود بالنفع على جميع المهارات اللغوية والمكتسبات المعرفية وإن تعدّدت؛ إذ تُقيِّدُها في الذهن وتحدّ من انفلاتها من الذاكرة، ولنا في ذلك مثال حيّ في التعليم الحديث ما يسمى بالخرائط الذهنية؛ حيث للأشكال والألوان التي تجمع فيها المعارف العلمية في مواد الحفظ دور فاعل في استذكار مضامينها.

وعليه تعدّ الصورة من أهم الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها في الفعل التربوي فإذا كانت تتناسب مع المحتوى التعليمي المقدم للمتعلم فإنها بالتأكيد ستقوده إلى اكتساب معلومات جديدة وسليمة، أما إذا كانت قاصرة على إيصال الرسالة كما يجب فإنها تشكل عائقا على التحصيل المعرفي والاكتساب اللغوي، وما يجدر الإشارة إليه أن الصورة لابد أن تتّسم بالتحديد والتنويع وإعمال الخيال؛ بحيث تسهم مع النص السند في نقل المعاني التربوية المستهدفة من النشاط المنجز.

إن التعبير اليوم من أصعب النشاطات على المتعلمين في مختلف المواد العلمية والإنسانية الأمر الذي يدفعنا إلى البحث عن طرائق أخرى تساعد المتعلمين في إنتاج الأفكار والتعبير عنها، وهنا لابد لنا من إشارة أو ومضة يهتدي بها المتعلم لتستقيم الصورة مشكلة نواة إبداعية تمكّن من استغلال الأفكار العملية الإبداعية الإنتاجية، فالصورة لها القدرة على توليد وتفجير الطاقة الإبداعية وتوليد الدلالات، لأنها ترشد المتعلم إلى تحديد التصورات هذا من جهة، ومن جهة أخرى توجهها إلى أخرى لها صلة بالأولى بناء على ثقافته وواقعه المعيش، فلو تستغل الصورة لوحدها في التعبير على سبيل المثال ستمنح فرصة توظيف اللغة بطريقة إبداعية يستدعي بها المتعلم رواسب مصطلحات معجمه اللغوي، ولا خوف على حسن اقتنائها لأن السياق الذي تنقله الصورة كفيل بذلك.

خاتمة:

تعتبر الصورة التعليمية من الوسائل التعليمية المهمة في عملية بناء المعارف والمعاني التعليمية؛ إذ:

- تمكن المدرس من أداء مهمته على أكمل وجه لما لها من دور بارز في نقل الخبرات والمعلومات إلى المتعلمين.
- تقدم المعلومة بصورة متدرجة وتسهل عملية الفهم والاستيعاب، وبالتالي الوصول إلى تعليم فعّال.
- تساعد على تنويع طرائق التدريس والتقليل من الفروق الفردية بين المتعلمين بتدعيم المعلومات النظرية. وما يجعل دورها وظيفيا تميّزها بخاصية التأثير الفوري على عقول المتعلمين وتنمية قدراتهم الإدراكية والإبداعية.
- تقرب المتعلم من واقعه الحقيقي بما تحويه من جمالية تنقلها العين ما يجعل المتعلم يُقبل على الفعل التعليمي برغبة ويشارك فيه بمتعة، وهذا ما لمسناه في مقررات كتب السنة الثانية متوسط بالمدرسة الجزائرية؛ فالصور الموظفة منحت فرصة للمتعلم أن يهتدي إلى المعاني التعليمية المستهدفة في المادة الواحدة، وأكثر من ذلك ربطت المواد التعليمية بعضها ببعض؛ فكثيرا ما تقاطعت صور كتاب العلوم

الطبيعية في المضامين التعليمية مع تلك التي حواها كتاب الجغرافيا. وبوظيفية الصور التعليمية المرافقة للنصوص التعليمية ارتقت لتمتلك القدرة على حبس المعارف في الذهن والحد من انفلاتها، خاصة عند كثرتها لما تحويه من مقدرة على اختزال المعاني وإعادة عرضها وإنتاجها عند الحاجة إليها.

وبناء عليه لا نتصور فعلا تعليميا هادفا دون صورة تعليمية تبني المعاني التعليمية وترسخها في ذهنالمتعلم، ولذلك اعتمدتها كتب السنة الثانية متوسط بالجزائر واتخذتها آلية وظيفية لذلك.

هوامش:

[1]محمد عبد الباقي أحمد: المعلم والوسائل التعليمية ،د.ط، شارع سوتير، مصر، 2005، ص149.

[2]ابن منظور ، لسان العرب، ط1، دار صادر، د.تح، بيروت، 1997، مج1، ص85، مادة صور.

[3]صلاح فضل، قراءة الصورة وصور القراءة، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1997، ص06، 07.

[4]أدهم محمود، مقدمة إلى الصحافة المصورة، الصورة الصحفية وسيلة اتصال، د.ط، الدار البيضاء، المغرب، د.ت، ص16.

[5]محمد السيد علي، تكنولوجيا التعليم والوسائل التعليمية، سلسلة الكتاب الجامعي العربي، مصر، 2009، ص85 .

[6]محمد عبد الباقي أحمد: المعلم والوسائل التعليمية، المرجع السابق، ص117.

[7]رشدي أحمد طعيمة وآخرون، المفاهيم اللغوية عند الأطفال، مكتبة الإسراء للطبع و النشر والتوزيع، ط1، 2006، ص175.

[8]أحمد عبده عوض، مداخل تعليم اللغة العربية ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 2000، ص23.

[9]حسن شحاتة، تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، المكتب الجامعي الحديث، ط1، الإسكندرية، 1990، ص155.

[10]رشراش أنيس عبد الخالق، أمل ذياب أبو عبد الخالق، تكنولوجيا التعليم وتقنياتها الحديثة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص182.

[11]عبد الرؤوف عامر، ربيع محمد، طفل الروضة، دار اليازوري، عمان ، الأردن، د.ط، 2008، ص120.

[12]رشراش أنيس عبد الخالق، المرجع السابق ، ص189

[13]عبد الرؤوف عامر، المرجع السابق، ص122.

[14]رشراش أنيس عبد الخالق، المرجع السابق، ص189

[15]عبد الرؤوف عامر، المرجع السابق، ص122.

[16]المرجع نفسه، ص121.

[17]رشراش أنيس عبد الخالق، المرجع السابق، ص189.

[18]عبد الحميد سيد أحمد منصور، علم اللغة النفسي، دار العلوم للكتاب، دمشق ، سوريا، 1989، ص 46.

[19]عبد اللطيف لحشيشة، دور الصورة في الكتاب المدرسي، المجلة التونسية لعلوم التربية، المعهد القومي لعلوم التربية، ع22، 1994، ص14.

[20]صفوت محمد، الإعلان الصحفي، برنامج بكالوريوس الإعلام، مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة، 1999.

[21]صلاح فضل، قراءة الصورة وصور القراءة ، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1997، ص 6،7.

[22]رولان بارت، بلاغة الصورة ، قراءة جديدة للبلاغة القديمة ، تر: عمر أوكان ، إفريقيا الشرق، المغرب، 1994، ص97.

[23]فريد الزاهي، الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، إفريقيا الشرق، المغرب، 1994، ص116.

[24]محمد علي، أساليب تدريس اللغة العربية ، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1982، ص182، 183 .

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

1–أحمد عبده عوض، مداخل تعليم اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 2000.

2–إلين تاردي، الوظيفة السيميائية للصور، دار صفاء ، عمان، الأردن، 2005.

3–حسن شحاتة، تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، المكتب الجامعي الحديث، ط1، الإسكندرية 1990.

4–محمد علي، أساليب تدريس اللغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1982.

5–عبد العظيم عبد السلام الفرجاني، تكنولوجيا إنتاج المواد التعليمية، دار الطباعة للنشر والتوزيع القاهرة، 2000.

6–عبد الرؤوف عامر، ربيع محمد، طفل الروضة، دار اليازوري، عمان، الأردن، د.ط، 2008.

7–عبد الحميد سيد أحمد منصور، علم اللغة النفسي،دار العلوم للكتاب، دمشق، سوريا، 1989.

8–عبد اللطيف لحشيشة، دور الصورة في الكتاب المدرسي، المجلة التونسية لعلوم التربية، المعهد القومي لعلوم التربية، ع22، 1994.

9–فريد الزاهي، الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، إفريقيا الشرق، المغرب، 1994.

10–صفوت محمد، الإعلان الصحفي، برنامج بكالوريوس الإعلام، مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوحكليةالإعلام، جامعة القاهرة، 1999.

11–صلاح فضل، قراءة الصورة وصور القراءة، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1997.

12–رولان بارت، بلاغة الصورة، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة:عمر أوكان، إفريقيا الشرق المغرب، 1994.

13–رشدي أحمد طعيمة وآخرون، المفاهيم اللغوية عند الأطفال، مكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيعط1، 2006.

14–رشراش أنيس عبد الخالق، أمل ذياب أبو عبد الخالق، تكنولوجيا التعليم وتقنياتها الحديثة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008.